

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الإعجاز العلمي - الندوة : 26 - دودة القز - العنكبوت.

20-11-2003

مقدمة :

﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾

[سورة الذاريات : 21]

السماء ، البرزخ ، النحل ، الأرض ، ظلمات الفضاء ، الكون ، النمل ، الكواكب ، دقة الإنسان .
التفكر في الخلق والكون ، حوارات مع الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي أحد علماء دمشق ، يجريها
عبد الحليم قباني .

المذيع :

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
أيها الأخوة ؛ السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

إن الزمان الذي نحيا فيه ، والذي يعرف باسم زمن العلوم والتقنية قد وقر فيه للإنسان من المعرفة
بالكون ومكوناته ما لم يتحقق لجيل من البشر من قبل ، لذلك النظر الآن في هذه الآية الكونية الواردة في
كتاب الله عز وجل على ضوء الحقائق العلمية المتوفرة يعتبر من أوضح البراهين على هذا الإعجاز
العلمي للقرآن الكريم ، وقد جاءت الآيات القرآنية في القرآن الكريم كلها مقام الشهادة لله سبحانه وتعالى
بطلاقة القدرة وبديع الصنعة .

معنا اليوم فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي في هذه الحلقات ، يحدثنا عن الإعجاز العلمي في القرآن
والسنة ، أهلاً وسهلاً بكم .

فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي الأستاذ المحاضر في كلية التربية في جامعة دمشق ، والخطيب
والأستاذ الديني في جوامع دمشق ، إن أردنا أن نفكر في شيء معين ، وإن أخذنا مثلاً ما نلبس من سترة
لوجدنا أنها مرت بمراحل كثيرة كي تصبح على هذا الشكل ، فلنتفكر في هذه الحلقة مع فضيلة الدكتور
محمد راتب النابلسي ، ومع دودة القز والحريز لنرى عجائب قدرة الله سبحانه وتعالى ، وهو أول
مرحلة من مراحل صنع اللباس .

كل شيء في الأرض وفي السماء ينطق بوجود الله وبكماله :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

أستاذ عبد الحلیم - جزاك الله خيراً - لا بد من توضيح دقيق ، أن هذه الأرض فيها آيات للموقنين ، إن أردت اليقين :

﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴾

[سورة الذاريات: 20]

إن كل شيء في الأرض وفي السماء ينطق بوجود الله ، وبكماله ، وبوحدانيته ، والصنعة تدل على الصانع ، والحكمة تدل على الحكيم ، والقدرة تدل على القدير ، وقد قال أعرابي مرة : " البعرة تدل على البعير ، والماء يدل على الغدير ، والأقدام تدل على المسير ، أفسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج ألا تدلان على الحكيم الخبير ؟! " . بالتأكيد إن الله سبحانه وتعالى حينما قال :

﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾

[سورة الأنعام : 103]

حواسنا الخمس لا تستطيع أن تدرك ، أو أن ترى الإله العظيم .

﴿ قَالَ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ﴾

[سورة الأعراف : 143]

معنى ذلك أن حواسنا الخمس لا يمكن أن ترى الله عز وجل ، إلا أن عقولنا التي أكرمنا الله بها يمكن من خلال الآثار أن تعرف المؤثر ، من خلال النظام أن تعرف المنظم ، من خلال الخلق أن تعرف الخالق ، فنحن نملك وسائل معرفة الله عز وجل ، إنها الآثار التي تدل عليه ، وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد .

دودة القز والحريز من آيات الله الدالة على عظمته :

هذه الدودة ، دودة القز والحريز من آيات الله الدالة على عظمته ، يسميها العلماء ملكة الأنسجة بلا منازع ، مهما تفنن الإنسان في صنع قماش لطيف لين خفيف الوزن ، لا يمكن أن يرقى إلى مستوى صناعة دودة القز لهذا الحريز .

الحقيقة أن خيط الحرير لعاب هذه الدودة ، فإذا لامس لعاب هذه الدودة الهواء أصبح خيطاً ، هذا اللعاب مطلي بمادة بروتينية ، يعطيه لمعاناً لؤلئياً ، خيط أساسه لعاب جف في الهواء ، مطلي بمادة بروتينية تجعله لامعاً ، ودودة القز تستطيع أن تنسج ست بوصات في الدقيقة الواحدة ، وطول خيطها ثلاثمئة متر، كل ثلاثمئة وستين شرنقة تساوي قميصاً حريراً واحداً ، كم وزن هذا القميص ؟ هذا القميص خفيف جداً لا يزيد وزنه على عشرة غرام .

إن عشرة آلاف شرنقة تساوي كيلواً واحداً من الحرير ، إذاً الحرير خيط متين أمتن من الفولاذ ، فلو أمكننا أن نسحب الفولاذ بقطر خيط الحرير لكان خيط الحرير أمتن من الفولاذ ، هذه حقيقة قد لا تصدق، فهو متين ، وخفيف ، ولامع ، وهو في الأصل لعاب يجف إذا لامس الهواء ، وهو مستمر ، ثلاثمئة وستون متراً تقريباً طول خيط دودة القز ، نعيد ونؤكد أن :

﴿ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾

ما العلاقة بين صنع الله الذي أنقن كل شيء وبين قوله :

﴿ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾

يتمتع الحرير بألوان زاهية ، فهناك دود يصنع الحرير الذهبي ، وهناك دود يصنع الحرير الفضي ، كاللؤلؤ تماماً ، والحرير الذهبي بلون طبيعي لا يتأثر بالشمس ، ولا يحتاج إلى تثبيت ، فهو لون ثابت كالذهب ، ولون ثابت كاللؤلؤ .

مرة أمسكت عباءة مصنوعة من الحرير الطبيعي ، لمعانها ووزنها الخفيف شيء لا يكاد يصدق ، لذلك الحرير من أرقى أنواع الأنسجة ، وهو من صنع هذا المخلوق الصغير الذي يسمى دود القز .

الإنسان دائماً في قبضة الله :

أنا ألاحظ أن الإنسان كلما أراد أن يبلغ الكمال في صنعه يقترب من صنعة الله ، فالصوف الطبيعي غالٍ جداً ، السبب أن خيط الصوف مفرغ ، خيط الصوف الذي تصنع منه الألبسة الشتوية مفرغ في داخله ، وهذا سرّ الخاصة التي يتمتع بها الصوف ، أما الإنسان حتى الآن فلم يستطع أن يصنع خيطاً مفرغاً من داخله بدقة خيط الصوف ، الآية الكريمة :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَبْصَارِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾

[سورة آل عمران: 190-191]

أنا حينما أستخدم عبارة " متين " ، فهذه عبارة فيزيائية دقيقة ، المتانة صفة تقاوم قوى الشد ، والقساوة صفة تقاوم قوى الضغط ، فأنا حينما أضغط أو أشد قوى الضغط تقابلها قوة القساوة ، وقوى الشد تقابلها قوة المتانة ، فالفولاذ المصفور أمتن العناصر على الإطلاق ، لذلك تصنع منه الحبال الفولاذية التي تحمل المصاعد ، وتحمل التفريك ، فأمتن عنصر على وجه الأرض هو الفولاذ المصفور ، إن خيط دودة القز أمتن من الفولاذ ، ولكن لا يستخدم في الصناعة، بينما أفسى المواد على الإطلاق الماس ، وميناء الأسنان يأتي بعد الماس في درجة القساوة ، الآن لو فكرنا في قوله تعالى :

﴿ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾

[سورة الأعراف : 183]

ما علاقة المتانة هنا مع كيد الله عز وجل ؟ كيد الله هو تدبيره ، ومعنى : " إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ " ، أي إن الإنسان مهما بدا كبيراً ، مهما بدا قوياً ، مهما بدا متألهاً ، فهو مربوط بحبل متين لا يستطيع التفلت من أمر الله ، ومعنى قوله تعالى :

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا ﴾

[سورة الأنفال : 59]

معنى ،

﴿ سَبَقُوا ﴾

أن الذين كفروا بالله عز وجل لا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً ما أَرَادَهُ اللهُ ، وأن الذين كفروا بالله عز وجل لا يستطيعون أن يتفلتوا من منهج الله ، إذاً المتانة تعني مقاومة قوى الشد ، والقساوة تعني مقاومة قوى الضغط ، ما دام الحديد قد وصل إلى هذا أذكر أن الإسمنت السنتمتر المكعب منه يتحمل من قوى الضغط ما يزيد عن خمسمئة وخمسين كيلو ، لكن هذا السنتمتر المكعب من الإسمنت لا يتحمل من قوى الشد إلا خمسة كيلو ، خمسة كيلو تكسره شداً ، وخمسمئة وخمسون كيلو يتحملها ضغطاً ، لذلك لا بد في الإسمنت من تسليحه بالحديد .
أما الذي ذكرته قبل قليل :

﴿ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾

أي إن الإنسان في قبضة الله ، قد يتوهم أنه طليق ، هو ليس طليقاً ، ولكنه مربوط بحبل مرخي إلى أن يحين الحين .

إذاً يمكن أن تكون هذه الدودة بخيطها الذهبي أو اللؤلؤي ، بخيطها المتين البراق الذي يفوق في متانته الفولاذ ، وبهذا الطول المديد ثلاثمئة متر ، وبهذا الوزن الخفيف آية من آيات الله الدالة على عظمته .
المذيع :

حكمة أودعها الله سبحانه وتعالى في خلقه ، كما تحدثنا عن دودة القز ، والحرير ، وهذا الصنع من لعاب دودة القز ، وهذا النسيج الذي يخرج منها ، وهو من أجمل ما رأينا من نسيج ، إن خرج ذهبياً أو لؤلئياً .

حكمة أخرى ذكرها الله سبحانه وتعالى في آية كريمة تحدثت عن بيت العنكبوت ، وهذا ما ذكرتم في كتابكم ، فحبذا لو تحدثونا عن هذه الآية الكريمة .

لفت نظر الإنسان غاية كل شيء مذكور في القرآن الكريم :

الدكتور راتب :

إن بيت العنكبوت ذكره الله في القرآن الكريم فقال :

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾

[سورة العنكبوت : 41]

الوهن هو الضعف ، بيت العنكبوت أو هن بيت بنص هذه الآية ، فقال العلماء : " إنَّ هي حرف مشبه بالفعل يفيد التوكيد ،

﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ ﴾

اللام في قوله :

﴿ لَبَيْتُ ﴾

هي في إعراب النحاة لام المزحلقة ، هي أساسها لام التوكيد ، زحقت من اسم إنَّ إلى خبرها ، إذاً يوجد توكيدان في الآية :

﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ﴾

إنَّ تفيد التوكيد ، واللام المزحلقة تفيد التوكيد أيضاً ، يقول الله عز وجل :

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾

[سورة العنكبوت : 43]

إذا ذكر الله شيئاً من خلقه فليفت نظرنا إليه ، وبعضهم قالوا : إذا أقسم الله بشيء فالنسبة إلينا ، إنه عظيم بالنسبة إلينا لا بالنسبة إليه ، وإذا لم يقسم فمعنى ذلك بالنسبة إليه هذا توجيه للقسم ، لقوله تعالى :

﴿ وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ﴾

[سورة الشمس : 1]

وفي قوله تعالى :

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾

[سورة الواقعة : 75]

فاذا أقسم فبالنسبة إلينا ، وإذا لم يقسم فالنسبة إلى ذاته ، هذه بعض توجيهات الآيتين الكريمتين ، الله عز وجل هنا يؤكد مرتين بأن وباللام المزحلقة :

﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعُنْكَبُوتِ ﴾

بيت العنكبوت درس لنا في مواجهة أعدائنا أعداء الأمة :

جاء في بعض التفاسير أن بيت العنكبوت ضعيف ، لأنه لا يغني عنها من حر ، ولا من قر ، ولا من مطر ، ولا من رياح ، وهو ضعيف لتفاهته وحقارته ، هكذا ورد في بعض التفاسير . ولكن أستاذاً في علم الحشرات في كلية العلوم في إحدى الجامعات العربية يقول في بعض كتبه العلمية : إن في قوله تعالى :

﴿ كَمَثَلِ الْعُنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ﴾

[سورة العنكبوت : 41]

في هذه الآية إعجاز علمي حيث إن التي تبني البيت هي الأنثى ، فجات تاء التأنيث في قوله تعالى :

﴿ كَمَثَلِ الْعُنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ﴾

أي هل يستطيع واحد في عهد النبي أن يفرق بين ذكر العنكبوت وأنثاها ؟ مستحيل ، الآن ثبت أن التي تبني البيت هي الأنثى .

هناك ملمح آخر في قوله تعالى :

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي ﴾

[سورة النحل : 68]

فالنحلة التي تبني بيت الشمع أيضاً أنثى ، بعض العلماء استنبط - ولعل هذا قريب من الصحة - أن في عالم الحيوان الأنثى هي المسيطرة ، وهي التي توجه ، وأن دور الذكر محدود جداً أمام مهمات الأنثى .

فذلك حينما يتخلى الإنسان عن قوامته التي كرمه الله بها ، ويعطي دفة القيادة إلى زوجته ، فكأنه ابتعد عن إنسانيته التي شرفه الله بها ، حينما قال :

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾

[سورة النساء : 34]

لكن أنا اطلعت على بحث جديد في العنكبوت أن خيطه أمتن من الفولاذ بخمسة أمثال ، بل إن بعض الأنسجة التي تصنع منها القمصان التي تقاوم الرصاص مصنوعة من مواد تشبه المواد التي صنعت منها خيوط العنكبوت ، فالوهن هنا أنه لا يقبها لا من حر ، ولا من برد، ولا من رياح ، ولا من مطر ، أما خيط العنكبوت كخيط دودة القز فأمتن من الفولاذ ، وهذا من آيات الله الدالة على عظمته . الأنثى في العنكبوت هي التي تغزل البيت ، وهي التي ترغب الذكر في الدخول إلى البيت ، حيث تقوم أمامه بحركات مغرية ، وتسمعه بعض الألحان الطنانة ، فيأوي إلى بيتها ، وبعد التلقيح تأكله ، وتفترسه، وتأكل أولادها من بعده ، ويأكل بعض أولادها بعضهم الآخر ، فضعف البيت هنا إضافة إلى أنه يقبها لا من حر ، ولا من قر ، ولا من رياح ، ولا من مطر ، فضعف هذا البيت يتأتى من ضعف علاقاته الداخلية ، وقد يجمع الضعفان في ضعف واحد .

المذيع :

الحمد لله أن الإنسان بعيد عن هذا الأمر .

الدكتور راتب :

هذه من آيات الله الدالة على عظمته ، هذه الرحمة التي أودعها الله في الإنسان هي من الله عز وجل ، بدليل أنه لم يدعها في بعض الحيوانات ، يلحقها ثم تفترسه ، ثم تأكل أولادها، بل إن بعض أولادها يأكل بعضهم الآخر ، فالوهن هنا التمزق الداخلي ، وفي هذه الآية ملمح كبير لنا ، فكلما اختلفنا ، وكلما تنازعنا ضعفنا ، قال تعالى :

﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾

[سورة الأنفال : 46]

ومعنى تفشلوا ؛ تضعفوا ، نستخدمها نحن خطأ في الإخفاق ، الفشل هو الضعف ، " وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ " ، طبعاً هذا درس لنا في مواجهة أعدائنا أعداء الأمة ، لا بد من التماسك الداخلي حتى نكون أقوى على مواجهة الأخطار الخارجية .

المذيع :

إذاً أيها الأخوة والأخوات ، فكما شاهدنا وسمعنا أن لكل خلق الله ، أو لكل حيوان من الحيوانات التي خلقها الله سبحانه وتعالى ، وكل حشرة من الحشرات هناك حكمة من وراء صنعها وخلقها ، فدودة القز هي التي تعطي الحرير ، وهو الحرير المتين جداً ، وصاحب هذه الألوان البهية ، وبيت العنكبوت والذي ضربه الله عز وجل مثلاً في آياته :

﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ ﴾

يدل على هذا الوهن الداخلي والخارجي .

نتابع مع الدكتور محمد راتب النابلسي هذه السلسلة من الحلقات ، وإلى حلقة قادمة بإذن الله تعالى ، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .